الْقِرَاءَاتُ الْقُرْآنِيَةُ فِيْ مَدْرَسَةِ الْكُوْفَةِ النَّحْوِيَّةِ

Qur’anic Recitations According to kufa School of Grammar

م.م محمد قاسم هاشم كريم

Asst.Lect. Mohammed Qasim Hashim Kareem

العراق/ وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء

Iraq/ Ministry of Education/ karbala Education Directorate

mohammadqasim7557@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

إنّ موضوعة القراءات القرآنيّة من الموضوعات المهمة في المجتمعات الإسلامية، إذ إنّ القرآن الكريم يُعدّ دستورًا فقهيًّا ولغويًّا وبلاغيًّا واجتماعيًّا، من هنا تنبثق خطورة القراءات على المستويات كلّها؛ إذ إنّ اللّغة العربيّة كلّ حركة أو سكنة فيها تغير من قصد إلى آخر، فكيف لنا أن نبدّل قراءة كاملة في سور القرآن الكريم من زيادة أو نقصان أو تبديل في الكلمات وفي المواضع، هذا من جانب، من جانب آخر تعدد القرّاء والقراءات بنحو فاحش أثار الفضول في الوقوف على منشأ القراءات وقواعدها وأسباب تكثرها، وموقف أهل البيت (عليهم السلام)منها، وكذلك موقف بعض العلماء سواء الإمامية أو غيرهم، لذا جاء البحث على مبحثين تناول الأوّل منهما نشأة القراءات وأسبابها ومناقشة تلك الأسباب، أما الآخر فتناول قرّاء الكوفة الثلاث، وأساتيذهم، وتلاميذهم، ثمّ آراء أهل البيت (عليهم السلام) في موضوعة القراءات، والمشاكل التي ولدتها القراءات، ثمّ خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيّة : القراءات – الكوفة – النحوية.

Abstract:

Qur’anic recitations are one of the most important topics in Islamic societies، as the Qur'an is considered a jurisprudential، linguistic، rhetorical، and social constitution. From here stems the gravity of recitations at all levels، for the Arabic language - every diacritic or pause within it changes the intended meaning to another. How can we then change a complete recitation in the Surahs of the Glorious Qur'an، whether by addition، subtraction، or substitution in the words and in the places?

On the other hand، the excessive multiplicity of reciters and recitations aroused curiosity in investigating the origin of the recitations، their rules، and the reasons for their abundance، as well as the position of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) and some scholars، whether Imamis or others، towards them. Therefore، the research came in two sections، the first of which dealt with the emergence of the recitations and their reasons، and discussed these reasons، while the other dealt with the three kufan reciters، their teachers، and their students، then the views of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) on the subject of the recitations، and the problems that the recitations generated، and finally a conclusion and a list of sources and references.

keywords : Readings - kufa - Grammar.

المقدّمة:

إنّ القرآن الكريم شأنه شأن سائر الكتب السّماويّة الأخرى الّتي حاول المبطلون أنْ يلحدوا في آياتها؛ فكانت أوّل محاولات التّحريف هي القراءات، وكما هو دأبهم دائمًا أنْ يزخرفوا قول الباطل بلطائف الحيل؛ ليعمّوا المقاصد على العالمين، ويصلون إلى بغيتهم من استغلال اسم الدّين لمصالحهم الشّخصيّة.

ففي ضمن ما أوجدوه من حيل لتمرير موضوع القراءات بسهولة إلى المجتمعات الإسلاميّة، هو أنّهم قد أنشأوا القراءات بأمر من الرّسول الأكرم ﷺ؛ محاولين بها الحفاظ على القرآن الكريم من التّحريف، والحقّ أنّهم لو أُمروا أنْ يحرّفوا الكلم عن مواضعه، لَمَا فعلوا بالقرآن الكريم أكثر ممّا فعلوه؛ فإنَّ من أعظم أهداف القراءات هو عدم توحيد المسلمين على كلمة واحدة، بعدما أمرهم الله سبحانه وتعالى أنْ يعتصموا جميعًا بحبله؛ إذ قال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

ونظرًا إلى حبِّ بعض الباحثين لموضوعة القراءات ونهمهم بها؛ فقد عدّوها من الثّراء اللّغويّ، هاملين التّلعّب بقدسيّة القرآن الكريم؛ فقد جاء هذا البحث الموجز؛ لبيان خطر القراءات على العقيدة الإسلاميّة؛ فكان العنوان: القراءات القرآنيّة في مدرسة الكوفة النّحويّة، وقد أتمّه الباحث بمبحثين، الأوّل اهتمّ بنبذة مختصرة عن نشأة القراءات وأسبابها، ومناقشة الأسباب، على حين اعتنى المبحث الآخر بقرّاء الكوفة الثّلاث مع ذكر أساتذتهم ورواتهم فحسب.

المبحث الأوّل: نشأة القراءات:

إنّ ما وصل إلينا من نصوص تُشير إلى أنّ نشأة القراءات بدأت بعد استشهاد الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بحسب ما تناقلته الرّواة؛ فمن القرّاء من قرأ على ابن عبّاس وغيرهم، إلّا أنّ بعضهم الآخر يرى أنّ مجوّزيّة القراءات جاءت على لسان النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ ورد في كتاب الإبانة في معاني القراءات: «قصّة عمر.... مع هشام بن حكيم بن حزام، وأنّ سُمع يقرأ الفرقان على غير قراءته، الّتي أقرأه رسول الله «صلّى الله عليه[وآله] وسلم»، قال: فكدت أعجل عليه، ثمّ أمهلته حتّى انصرف، ثمّ لببته بردائه، فجئت به إلى النّبيّ «صلّى الله عليه[وآله] وسلم»، فقلت: يا رسول الله، إنّي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، قال الثاني: فقال له رسول الله « صلّى الله عليه[وآله] وسلّم»: أقرأ ، فقرأ القراءة الّتي سمعته يقرؤها، فقال رسول الله «صلّى الله عليه[وآله] وسلّم»: «هكذا نزلت»، ثمَّ قال لي: أقرأ ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت، إنّ هذا القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، فاقرءوا بما تيسّر منها»[1].

وغيرها من الرّوايات الكثيرة الّتي أوردوها في كتب مختلفة لا يتّسع المقام لذكرها، ولكن جلّها يصبّ في هذا المضمار ذاته، وفي القصّة نفسها؛ إذ إنّها تُشير إلى أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف؛ فيمكن للإنسان أنْ يقرأ ممّا تيسّر له منها.

ولقد وجّه صاحب جامع البيان دلالة الأحرف السّبعة إلى وجهين: «الأوّل: أنْ يكونَ يعني بذكر أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة [أحرف سبعة] أوجه من اللّغات؛ لأنّ الأحرف جمع حرف في الجمع القليل مثل: فلس وأفلس... والحرف قد يُراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ومن النّاس من يعبد الله على حرف... والوجه الثّاني من الأحرف: أنْ يكون صلّى الله عليه[وآله] وسلّم سَمّى القراءات أحرفًا على طريق السّعة كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشّيء باسم ما منه وما قاربه وجاوره» (٢).

ولعلّه يقصد بـ(اللّغات) اللهجات؛ لأنّه لم تصدر أيّ لغة أخرى غير اللّغة العربيّة، أمّا الوجه الآخر الّذي ذهب إليه صاحب جامع البيان لا يدلُّ على أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، فربّما نزل على أكثر من ذلك؛ لأنّه على وجه السّعة والكثرة، وبهذا القول يكون للقرآن الكريم مئات الوجوه بحسب ما أُنزل بزعمهم، وبحسب ما يحلو للقرّاء من قراءته، وهو ضياع ما بعده ضياع للنّصّ القرآنيّ الكريم، وفي الوقت ذاته هو تناقض جليّ بين ما يشير إليه النّصّ المزعوم وما وجّهه صاحب جامع البيان.

ممّا تقدّم نجد رواياتهم وصلت حدّ الإفاضة والتّواتر بزعمهم، ولكن ما نجده من الكتب المشهورة عندهم أنّ عدد القرّاء يربو على الأربعين قارئًا، بل على المئة؛ فإنْ كانت رواياتهم متواترة في القراءات والقرّاء، وأنّ عددهم سبع قراء؛ فلِمَ -إذًا- نجد التّزايد في أعداد القرّاء، وفي اختلاف القراءات؟

إنّ هذا في الحقيقة يشير إلى أنّ القراءات وعددها وما يتّصل بها من أخبار، إنّما هي من اجتهاد الأشخاص أنفسهم لا كما قالوا بأنّ الرّسول الأعظم (ﷺ) أمر بذلك.

وبحسب ما أشار أصحاب القراءات يتّضح لنا أنّ نشأة القراءات قد انبثقت من حرص المسلمين على القرآن الكريم من التّحريف والتّصحيف، وكذلك نشأت من عطف الرّسول على أمّته؛ إذ خاف عليهم عدم تمكّنهم من قراءته إذا ما أُنزل على حرف واحد، فما فتِئ المسلمون بعد استشهاد الرّسول عن المسيرة في مجموعة خطوات لحماية القرآن الكريم من التّحريف؛ فتوالت الخطوات بعد ذلك بمزيد من التّخطيط حتّى عمل أبو الأسود الدّؤليّ نقط الإعراب[٣].

وفي الحقيقة أنّ القرآن الكريم قد جُمِع على عهد رسول الله (ﷺ)، وفي حياته، وما يؤيّد قولنا هذا –بعيدًا عن الاستدلال النّقليّ والتّأريخيّ– أنّ الرّسول الأعظم بعثه الله سبحانه وتعالى بهذا القرآن العظيم؛ إذ هو رسالته السّماويّة الوحيدة، وهو أهمّ الرّسالات السّماويّة، وأفضلها بما له من حاكميّة على كلّ النّصوص السّماوية الأخرى؛ فلا يُعقل أنْ يذهبَ رسول الله (ﷺ) إلى جوار ربّه تاركًا الأمور على عواهنها من دون أنْ يطمئنّ على حال القرآن الكريم بعد استشهاده، ولقد أشارت روايات عدّة على أنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) لم يخرج من بيته بعد استشهاد الرّسول، إلّا بعد جمع كلّ الصّحف الّتي كُتب بها القرآن الكريم، فمن شاء فليراجع.

ثمَّ إنّ قول الدكتور المخزومي: من أنَّ زياد بن أبيه قد وجّه أبا الأسود الدّؤليّ لعمل النّحو المعروف الّذي عمله الدّؤليّ عارٍ من الصّحة، وبعيد كلّ البعد عن الحقيقة، وهنالك بحث بعنوان (الإمام عليّ الواضع الأوّل للنّحو) أشار إلى روايات عدّة من طرق العامّة والخاصّة إلى أنّ من وجّه الدّؤليّ هو الإمام عليٌّ (عليه السلام) وليس زياد بن أبيه؛ إذ أوردت خبرًا عن ابن النّديم في فهرسته عن علّة تسمية النّحو بهذا الاسم: «قال أبو جعفر بن رستم الطّبريّ: إنّما سُمّي النّحو نحوًا؛ لأنّ أبا الأسود الدّؤليّ قال لعليّ (عليه السلام)؛ وقد ألقى عليه شيئًا من أصول النّحو. قال أبو الأسود الدّؤليّ: واستأذنته أنْ أضعَ نحو ما وضع فسمّى ذلك نحوًا» [٤]، كما أنّها قد ناقشت الأخبار الّتي تعرّضت لهذه المسألة من جهاتها كلّها.

ثمّ إنّ أسباب ظهور القراءات لا تصبّ كلُّها في المجال نفسه؛ فمنهم من قال: إنّ ظهور القراءات كان منشأه اختلاف اللهجات العربيّة، والنّصّ القرآنيّ بحسب ما ساقوه من روايات عن الرّسول الأعظم، يتمتّع بانسيابيّة تتيح لقارئه اختيار ما يناسبه من أوجه القراءة.

ومثال هذا لا نجده في القراءات كثيرًا؛ لأنّ اللهجات العربيّة مشهورة ومعروفة، كالعنعنة والكشكشة والوتم والوكم، وغيرها الكثير من اللهجات الّتي لم نجدها في قراءات من اختلف بالقراءة إلّا قليلًا، إنّما الاختلاف بالزّيادة في النّصّ القرآنيّ، أو بالنّقص أو بقلب الجملة، من حيث التّقديم والتّأخير،

وغيرها من الاختلافات الّتي أوجدوها في النّصّ القرآنيّ، وهذا ما نجده في جامع البيان؛ فمنها ما: «تغيّر اللّفظ نفسه وتحويله ونقله إلى لفظ آخر كقولك: ملك يوم الدين [الفاتحة: ٤] بغير ألف ومالك بألف...ومنها الإثبات والحذف كقوله تعالى: وقالوا اتّخذ الله ولدًا [البقرة:١١٦]...ومنها تبديل الأدوات كقوله: وتوكّل على العزيز الرّحيم في [الشّعراء: ٢١٧] بالفاء وتوكّل بالواو...ومنها التّوحيد والجمع كقوله: الرّيح [البقرة: ١٦٤] »[٥]، وغيرها الكثير من الاختلافات، وكما نرى أنّ الاختلافات لا علاقة لها باللهجات، وإنّما هي اجتهادات اجتهد بها أصحابها.

أمّا السّبب الآخر القائل: بأنّ القراءات والاهتمام بها نشأت من العناية بالقرآن الكريم والخوف عليه من التّحريف والتّصحيف[٦]؛ فإنّه سبب واهٍ جدًّا؛ إذ إنّ ما فعلوه هم من حذف وزيادة وقلب في ترتيب الجمل هو التّحريف بعينه؛ إذ كيف يمكن أنْ نفهمَ الدّلالة الأصليّة الّتي أشار الله (سبحانه وتعالى) إليها بالألفاظ الّتي أنزلها على صدر الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنْ كان فيها الكثير من التّغيير!!!

وقد ذهب الجزريّ إلى أنّ السّبب من تعدّد القراءات هو للتّخفيف عن هذه الأمّة، وإرادة اليسر بها، والتّهوين عليها شرفًا لها وتوسعة ورحمة، محتجًّا في ذلك بأنّ النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بُعِثَ إلى البشريّة كافّة؛ فمنهم الأسود،

ومنهم الأحمر، ومنهم من تختلف لهجته عن الآخر؛ فلو أراد أحد أنْ يغيِّرَ لهجتهم لكان من باب التّكليف الّذي لا يستطاع[٧].

إنّ المؤمن مبتلى، وأعظم البلاء في الدِّين؛ وهذا ما نجده في القصص القرآنيّ كثيرًا كأصحاب جالوت وغيرهم من الّذين أمرهم الله بالصّبر؛ ليمحَّصوا، وأنّ البلاء لم ينقطع زمنه ولن ينقطع؛ فهو باقٍ ما دامت البشريّة؛ فما الضّير من أنْ يعدِل الإنسان عن لهجة قد اعتاد عليها إلى لهجة قد نزل القرآن الكريم بها، حبًّا لله وطلب القرب إلى جواره؟

ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى ليس ظالمًا ليؤاخذ نفسًا بما لا تستطيع؛ فالحجّ الّذي هو فرع من فروع الدِّين الحنيف قد جعل الله (سبحانه وتعالى) وجوبه مقترنًا بالاستطاعة، فكيف بقراءة القرآن؟ والأنكى من ذلك أنّنا نجد كثيرًا ممّن هم أعلام القرّاء؛ كعاصمٍ الكوفيّ، أنّهم من التّابعين؛ أيْ: إنّهم ليسوا من العرب؛ فكيف تمكّنوا -إذًا- من قراءة القرآن الكريم بأحرف مختلفة، وبوجوه متنوّعة، على حين يصعب على العرب أنفسهم أنْ يقرأوا بحرفٍ آخرَ من جنس لغتهم؟ ثمَّ إنَّ القرآن الكريم لم يأتِ إلّا باللّغة العربيّة فلا نجد فيه لغات أخرى، والرّسول كما هو معروف مبعوث للنّاس كافّة؛ فمن تعلّم العربيّة ونطق بها لا يضيره أنْ يقرأَ القرآن الكريم بأيّ لهجة نزل.

ولا يقف خطر القراءات عند هذا الحدّ فحسب، بل يطال الجانب الفقهيّ أيضًا؛ إذ ستكون القراءة في الصّلاة مشكلة عويصة؛ فقد ناقش صاحب القواعد والإشارات مسألة القراءة بأحد الأوجه السّبعة، أو كلّها؛ إذ ظنَّ الفقهاء والمتكلّمون أنّ المصحف العثمانيّ شمل الأحرف السّبعة بناءً على امتناع إهمال شيء من الأحرف على الأمّة، على حين ذهب مجموعة من الفقهاء إلى عدم جواز النّهي عن بعض الأحرف السّبعة الّتي أذن فيها الشّارع (ﷺ)، وقد عَزَوا سبب عدم تنقيط المصحف لئلّا يتحجّر على حرف بعينه[٨].

وهذا ما يدلُّ على أنّ قراءتها في الصّلاة جائزة عندهم، بل حتّى عند بعض الشّيعة؛ إذ جوّز بعضهم القراءة بها في الصّلاة، على حين عدّها السّيّد الخوئي غير مجزية في الصّلاة؛ كون القراءات غير محترز من كونها قرآنًا يقينًا؛ لأنّها لم ترد عن طريق النّبي الأكرم أو الأئمّة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم)، وبهذه الحالة إمّا أنْ يكرّرَ المكلَّفُ الصّلاةَ، أو يكرِّر القراءاتِ كلَّها؛ ليحترزَ بذلك أنّه قد قرأ ما هو من القرآن، هذا بخصوص سورة الحمد، أمّا السّورة الأخرى؛ فإمّا أنْ يتركَ السّورَ الّتي فيها اختلاف في القراءات، أو يكرّر الصّلاة كما في السّابق[٩]، وبهذا تشكّل القراءات عبئًا على بعض الأمّة؛ لا تخفيفًا عليها، وإنْ بعد استشهاد الرّسول الأعظم (ﷺ).

المبحث الثّاني: قرّاء المدرسة الكوفيّة:

إنّ مدرسة الكوفة النّحويّة قد كانت تالية بالظّهور للمدرسة البصريّة، وقد كان أغلب روّادها قد تتلمذ على يد البصريّين، إلّا أنّ هذا لا يُعَدّ مثلبة على الكوفة؛ إذ إنّها قِبلة أنظار زعماء العرب وقادتهم، إلّا أنّ دارسي النّحو المتأخّرين لم ينظروا إلى الكوفة إلّا نظرة أقل، لا فرق في ذلك بين الأساتيذ أو المتعلّمين[١٠].

وعلى أيّة حال فقد تشكّلت مدرسة الكوفة من أساتيذَ ومتعلّمين، وأصبحت لها آراء لغويّة ونحويّة؛ معتمدين على السّماع والرّواية، بخلاف مدرسة البصرة الّتي كانت معتمدة على القياس والاستدلال؛ فما وافق آراءهم ولو بالتّأويل قبلوه، وما خالفهم رفضوه، أو طوّعوه عنوة، وما يهمّنا في البحث من مدرسة الكوفة هم طائفة القرّاء الّذين اتّجه نشاطهم إلى تصحيح متن القرآن الكريم عن طريق الرّواية[١١]، وقد كان مرجِع القرّاء في هذه المدرسة؛ هما: أبو عبد الرّحمن السّلميّ (ت ٧٤هـ) الّذي جلس في مسجد الكوفة للإقراء، وكان بدافع من الحديث الّذي كان يروونه عن عثمان[١٢].

وأمّا الآخر فهو: زرّ بن حبيش الأسديّ الكوفيّ (ت ٨٢هـ)، الّذي قال فيه عاصم بن أبي النّجود: ما رأيت أقرأ من زرّ، وقد أخذ القراءة عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وعبد الله بن مسعود[١٣].

وقد حظيت مدرسة الكوفة بثلاثة قرّاء من أعلام القرّاء السّبعة؛ وهم: «عاصم بن بهدلة يُعرف بابن أبي النّجود راوية أبي بكر بن عيّاش واسمه شعبة»[١٤]، وقد أشارت كتب القراءات إلى أنّ اسم (بهدلة) هو اسم أمِّهِ، واسم (أبو النّجود) هو اسم أبيه، وقد جمع عاصم بين الفصاحة والإتقان والتّحرير والتّجويد، وكان أحسن النّاس صوتًا في القرآن الكريم[١٥].

ومنهم: «حمزة بن حبيب الزّيات، التّميميّ صليبة أو ولاء (تـ ١٥٦هـ) كان إمام النّاس بعد عاصم وسليمان الأعمش... وخاتمة هؤلاء الشّيوخ في الكوفة: عليّ بن حمزة الكسائيّ الأسديّ ولاءً (تـ ١٨٩هـ) انتهت إليه رياسة الإقراء في الكوفة»[١٦].

ولقد ذكرت كتب القراءات أنّ لكلّ قارئ راويين أخَذا عنه القراءة؛ فقد ورد في كتاب العنوان في القراءات: «عن عاصم: أبو بكر، وحفص، وعن حمزة: خلف، وخلّاد. وعن الكسائيّ: أبو الحارث، وأبو عمر الدّوريّ»[١٧].

وقد سُمِّيَ حمزة الكوفيّ بالزّيات؛ لأنّه كان يقرأ قوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه»، لا زيت فيه، فسُمِّي بالزّيّات نسبة إلى قوله هذا[١٨].

وسنذكر فيما يأتي تأريخ القرّاء الكوفيّين، وأسانيد قراءاتهم، وذكر رواتهم:

أوّلًا: عاصم الكوفيّ: وهو الخامس في تسلسل القرّاء السّبعة، ويلقّب بالضّرير الكوفيّ، وهو من الطّبقة الثّالثة من التّابعين[١٩]، قيل في نسبه: «هو

مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن أسد، ويكنّى أبا بكر وهو من التّابعين... روى عنه القراءة والحديث خلق كثير، وتصدّر للإقراء عند موت أبي عبد الرّحمن السّلميّ سنة ثلاث وسبعين إلى أنْ توفِّي بالكوفة» (٢٠)؛ وهو بهذا يكون المقرئ الأوّل من التّابعين في الكوفة.

أمّا أساتيذه الّذين لم يكن له غيرهم؛ إذ قال: «ما أقرأني أحد حرفًا إلّا أبو عبد الرّحمن السّلميّ وكان أبو عبد الرّحمن السّلميّ قد قرأ على عليٍّ رضي الله تعإلى عنه وكنت أرجِع من عند أبي عبد الرّحمن فأعرض على زرّ بن حبيش وكان زرّ قد قرأ على عبد الله بن مسعود قال أبو بكر بن عيّاش فقلت لعاصم لقد استوثقت» (٢١).

أمّا رواته، فأوّلهم: «أبو بكر بن عيّاش عنه قرأت بالكوفة على أبي عليّ الحسن بن داوّد بن الحسن القرشيّ المعروف بالنّقّار القرآن الكريم من أوّله إلى آخره. وعلى أبي الحسن حمّاد بن أحمد بن حماد الضّرير المقرئ من أوّله إلى آخره» (٢٢).

والآخر: «حفص بن سليمان بن المغيرة الأسديّ البزّاز الكوفيّ، يكنّى أبا عمر ويعرف بحفيص. قال وكيع بن الجراح، وكان ثقة» (٢٣).

ثانيًا: حمزة الزّيّات الكوفيّ: وهو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفيّ الزّيّات الفرضيّ التّيميّ، مولى لهم، ويقال: هو مولى لآل عكرمة بن ربعيّ التّيميّ، ويقال: هو مولى لبني عجل، ويقال: هو من ولد أكثم بن صيفيّ ...وهو من الطّبقة الثّالثة» (٢٤).

أمّا بخصوص أساتيذه فإنّه قد قرأ على: «الْأَعْمَش بهَا وَيُقَال إِنَّه لم يقْرَأ عَلَيْهِ وَلكنّه سمع قِرَاءَته وَقَرَأَ على ابْن أبي ليلى، وَقَرَأَ ابْن أبي ليلى على الْمنْهَال بن عَمْرو، وَقَرَأَ الْمنْهَال على سعيد بن جُبَير، وَقَرَأَ سعيد على ابْن عَبَّاس..... وَقَرَأَ ابْن عَبَّاس على أُبَيّ بن كَعْب رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ وَقَرَأَ أُبَيّ بن كَعْب على النّبِيّ(صلّى الله عليه[وآله] وسلّم) » [٢٥].

وقد كان لحمزة راويتان كما سائر القرّاء؛ وهما: «رواية خلف عن سليم عن حمزة قرأت على أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم القرآن الكريم من أوّله إلى آخره؛ قال: قرأت على إدريس بن عبد الكريم الحدّاد المقرئ وقرأ إدريس على خلف بن هشام البزّار المقرئ، وقال خلف: قرأت على سليم بن عيسى القرآن الكريم مرارًا كثيرة وكنت أسأله عند الفراغ من آخر القرآن الكريم أروي عنك هذه القراءة الّتي قرأتها عليك عنك عن حمزة» [٢٦].

والآخر: «محمد بن سعدان النّحويّ الكوفي الضّرير صاحب الكسائيّ والفرّاء، يكنّى أبا جعفر» [٢٧].

وقد أوردوا رواياتٍ كثيرةً في مدح حمزة الزّيات لا يتّسع المقام لذكرها، ولكن من أراد الاتّساع والاطّلاع فليراجع كتاب جامع البيان في القراءات السّبع، أو غيره من كتب القراءات المشهورة.

ثالثًا: الكسائيّ: وهو السّابع في تسلسل القرّاء السّبعة، والثّالث في تسلسل قرّاء الكوفة، وقيل في نسبه: «وهو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفيّ النّحويّ، مولى لبني أسد، واختُلف في تسميته الكسائيّ؛ فروينا عن عبد الرّحيم بن موسى أنّه سأله؛ فقال: لأنّي أحرمت في كسائي، وقرأت على أبي الحسن بن كرز المقرئ عن عبد الوهاب بن محمد؛ قال: قال لي الأهوازيّ: قال بعضهم: سُمِّيَ الكسائيّ؛ لأنّه كان من باكسايا، قرية من السّواد» (٢٨).

أمّا ما قيل في مدحه؛ فقد: «كان صادق اللهجة، متّسع العلم بالقرآن الكريم والعربيّة واللّغة، وهو مادّة نحويّي الكوفة وعمدتهم» (٢٩)، وقد أخذ القراءة من مجموعة من الشّيوخ والفقهاء؛ منهم: «ابْن أبي ليلى وَأَبَان بن تغلب وَالْحجّاج بن أَرْطَاة وَعِيسَى بن عمر الهمذانيّ وَحَمْزَة الزّيّات؛ حَدثنَا ابْن أبي الدُّنْيَا قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد بن خَالِد المقرئ، قَالَ حَدّثنَا عبد الله بن صَالح الْعجلِيّ عَن الْكسَائيّ، قَالَ: قَالَ لي هَارُون أَمِير الْمُؤمنِينَ أقرئ مُحَمَّدًا قِرَاءَة حَمْزَة؛ فَقلت هُوَ أستاذي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ» (٣٠).

وقد كان رواتُه من الحفّاظ للقرآن الكريم، ومن أهل الثّقة كما عبّر عنهم صاحب المكرّر في ما تواتر من القراءات السّبع؛ إذ قال فيهم: «أبو الحارث: هو اللّيث بن خالد المْروزِيّ المقرئ قرأ على الكسائيّ، وتوفّي سنة أربعين

ومئتين، وكان ثقة قيِّمًا بالقراءة ضابطًا لها، قال الحافظ أبو عمرو: كان من أجلّ أصحاب الكسائيّ.

ب- الدّوريّ: وتقدّم سند الدّوريّ ووفاته في سند الإمام أبي عمرو بن العلاء، وجميع ما ذكر من أسانيد القرّاء على سبيل الاختصار؛ فمن أراد الاتّساع في ذلك، فعليه في ذلك بكتاب النّشر في القراءات العشر، تأليف الإمام العالم العلّامة شيخ القرّاء والمُحدِّثين شمس الدّين محمد بن محمد الجزريّ»[٣١].

وبعد استعراض قرّاء الكوفة ورواتهم وأساتيذهم، وبعد ذكر روايات من طرق العامّة قد عدّوها من المتواتر؛ فجوّزوا الصّلاة بها، سنذكر مجموعة من روايات أئمّة الهدى أهل البيت (عليهم السلام) بخصوص القراءات، ومشروعيّة تعدّد القراءات في القرآن الكريم؛ فقد ورد عن الإمام الصّادق (عليه السلام)؛ أنّه قد نهى شخصًا يقرأ القرآن الكريم بغير ما يقرأه النّاس؛ إذ جاء في وسائل الشّيعة: «قرأ رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا أستمع حروفًا من القرآن الكريم ليس على ما يقرأها النّاس؛ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) كُفَّ عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ النّاس حتّى يقومَ القائم فإذا قام القائمُ كتابَ الله على حدّه، وأخرج المصحف الّذي كتبه عليّ(عليه السلام)»[٣٢]؛ فها هو الإمام الصّادق (عليه السلام) يصرّح بعدم مشروعيّة القراءات، بل عدم ورودها عن النّبيّ الأكرم، وإلّا لَما كان له أنْ ينهى عنها.

وما يؤكّد أنّ القراءات منهيٌّ عنها ما جاء في كتاب الكافي عن الإمام الصّادق (عليه السلام)؛ إذ قال: «إنْ كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ، فقال ربيعة: ضالّ؟! فقال: نعم ضالّ، ثمّ قال أبو عبد الله (عليه السلام): أمّا نحن فنقرأ على قراءة أُبَيّ»[٣٣]، وهذا الخبر يدلُّ دلالة واضحة على عدم جواز قراءة القرآن الكريم بأكثرَ من وجه كما زعموا؛ إذ عدَّ ابن مسعود من الضّالّين إنْ لم يقرأ بقراءتهم.

ومن الرّوايات الدّالّة على ذلك أيضًا ما جاء عن أمير المؤمنين عليٍّ(عليه السلام) قوله: «: نزل القرآن الكريم بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أنّ جبرائيل (عليه السلام) نزل بالهمزة على النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلّم ما همزنا» [٣٤]؛ فلو كانت القراءات مشروعة؛ لم يعدِل الإمام (عليه السلام) عمّا اعتادوا نطقه.

الاختلافات الّتي ولّدتها القراءات:

١- الاختلاف والتّفرقة، وذهاب كلّ حزب بما تهوى أنفسهم.

٢- تعدّد أوجه الآيات القرآنيّة، وتعمية المقاصد؛ ممّا يجعل فهم الآيات وتدبّرها أمرًا مشكلًا، ومبهمًا للحقيقة المتوخّاة اجتنائها من النّصّ الشّريف؛ إذ إنّ الآية تحتمل أكثر من وجه، وأكثر من قراءة ولفظ.

٣- الإرباك في قراءة السّور القرآنيّة الكريمة في الصّلاة، وعدم الاحتراز بإتيان الوجه الّذي صدر فيه القرآن الكريم عن الرّسول الأعظم ﷺ حقًّا؛ ممّا يؤدّي إلى تحمّل عبء جديد على المسلم هو في غنًى عنه.

٤- إشغال المتلقّي في أمور شكليّة تبعده عن روح الآيات المباركة؛ إذ إنّه سيدخل في دوّامة الحذف، أو الزّيادة، أو التّقديم أو التّأخير.

الخاتمة:

١- إنّ أخبار القراءات هي أخبار آحاد وأغلب أسانيدها قد ضعّفها أصحاب الرّجال.

٢- أكثر أسباب نشوء القراءات غير مقنعة.

٣- اتّفق رواة القراءات على أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، إلّا أنّنا نجد القراءات قد وصلت إلى مئة حرف أو أكثر؛ وهذا ما يدعو للتّوقف عليها.

٤- لم يُجِزْ أكثر فقهاء المذهب القراءة بأحد صور القراءات؛ لأنّها لم ترد عن رسول الله ورودًا قطعيًّا.

٥- لم نجد لأئمة أهل البيت عليهم السّلام قراءات قرآنيّة على غرار القراءات الّتي وردت عن القرّاء، وكان حريًّا أنْ يصدر عنهم الكثير من القراءات؛ كونهم محلّ هبوط الوحي، وفي بيوتهم رُتّل القرآن.

٦- حديث أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) عن امتناعه عمّا اعتادوه من ترك النّبر، بيد أنّ نزول القرآن الكريم قد جعلهم ينبرون؛ فلو كانت القراءات واردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَا انتهى عنها أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام).

الهوامش:

١- ينظر الإبانة عن معاني القراءات: ١٠٥ – ١٠٦.

٢- ينظر جامع البيان في القراءات السّبع: ١٠٥.

٣- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو: ١٨ – ١٩.

٤- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) الواضع الأوّل للنحو العربي، مجلّة الباحث، العدد: ١٢، ١٥٤.

٥- ينظر جامع البيان في القراءات السّبع: ١٠٩- ١١٠.

٦- مدرسة الكوفة واتجاهاتها في دراسة اللّغة والنّحو: ١٧.

٧- النّشر في القراءات العشر: ٢٢.

٨- ينظر القواعد والإشارات في أصول القراءات: ٣٣ – ٣٤.

٩- ينظر البيان في تفسير القرآن: ١٦٧.

١٠- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو: ١٢.

١١- ينظر المصدر السّابق نفسه: ٢٠.

١٢- النّشر في القراءات العشر: ٣.

١٣- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو: ٢٣.

١٤- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ٢٦٧.

١٥- ينظر الإبانة عن معاني القراءات: ٣١.

١٦- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو: ٢٤- ٢٥.

١٧- العنوان في القراءات السّبع: ٥٤.

١٨- ينظر جواب بعض الخدم لأهل النّعم عن تصحيف حديث احتجم:٤٩، وينظر تحقيق النّصوص ونشرها: ٦٤.

١٩- ينظر جامع البيان في القراءات السّبع: ١٩٣.

٢٠- الإقناع في القراءات السّبع: ٣٤.

٢١- السّبعة في القراءات: ٧٠.

٢٢- المبسوط في القراءات العشر: ٤٢.

٢٣- جامع البيان في القراءات السّبع: ٢٠٢.

٢٤- الإقناع في القراءات السّبع: ٣٨.

٢٥- ينظر السّبعة في القراءات: ٧١ – ٧٢.

٢٦- المبسوط في القراءات العشر: ٦٥.

٢٧ ((جامع البيان في القراءات السّبع: ٢١٧.

٢٨- الإقناع في القراءات السّبع: ٤٤.

٢٩- المصدر السّابق نفسه: ٤٤.

٣٠- السّبعة في القراءات: ٧٩.

٣١- المكرّر فيما تواتر من القراءات السّبع وتحرّر: ٢٥.

٣٢- وسائل الشّيعة (الإسلاميّة): ٨٢١.

٣٣- الكافي: ٢/ ٦٣٤.

٣٤- شرح شافية ابن الحاجب: ٣: ٣٢.

المصادر والمراجع:

١. أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي رحمه الله (تـ ٣٢٨/ ٣٢٩ هـ)، الأصول من الكافي: مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدّة شروح، صحّحه وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية مرتضى آخواندي تهران_ بازار سلطانً، ط٥، ١٣٦٣ش.

٢. أبو محمد مكّيّ بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسيّ القيروانيّ، الإبانة عن معاني القراءات: ثمَّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكيّ (تـ ٤٣٧ هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، د.ط، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر.

٣. أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (تـ ٥٤٠ هـ)، الإقناع في القراءات السّبع: دار الصّحابة للتراث.

٤. السّيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (تـ ١٤١١ هـ)، البيان في تفسير القرآن: دار الزّهراء للطباعة والنّشر والتوزيع بيروت- لبنان، ط: ٤، ١٩٥٤م.

٥. عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (تـ ٤٤٤ هـ)، جامع البيان في القراءات السّبع: جامعة الشّارقة – الإمارات، ط:١، ١٢٤٨م.

٦. أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السّرقسطي (تـ ٤٥٥ هـ)، ت: العنوان في القراءات السّبع: الدكتور زهير زاهد – الدكتور خليل العطيّة كلّيّة الآداب – جامعة البصرة عالم الكتب، بيروت.

٧. أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرّضا، الحموي الحلبي (ت ٧٩١هـ)، القواعد والإشارات في أصول القراءات: ت: الدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، دمشق.

٨. أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، كتاب السّبعة في القراءات: ت: شوقي ضيف، ط: الثانية، ١٤٠٠هـ، دار المعارف – مصر.

٩. أحمد بن الحسين بن مِهْران النّيسابوريّ، أبو بكر (ت ٣٨١هـ)، المبسوط في القراءات العشر: ت: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربُة – دمشق.

١٠. عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النّشّار الشّافعي المصري (ت ٩٣٨هـ)، المكرّر في ما تواتر من القراءات السّبع وتحرّر، ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسّور: ت: أحمد محمود عبد السّميع الشّافعي الحفيان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١١. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢. شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، النّشر في القراءات العشر: ت: علي محمد الضّباع (المتوفّى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

١٣. الشّيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة (الإسلامية): عني بتصحيحه وتحقيقه وتذييله الفاضل المحقّق الشّيخ عبد الرّحيم الرّبّاني الشّيرازيّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان.

١٤. يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصّالحيّ، جمال الدّين، ابن المبرّد الحنبليّ (ت ٩٠٩هـ)، جواب بعض الخدم لأهل النّعم عن تصحيف حديث احتجم: ٤٩ (تحقيق وتخريج: محمد صباح منصور، النّاشر: دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

١٥. عبد السّلام محمد هارون (ت ١٤٠٨هـ)، تحقيق النّصوص ونشرها: ٦٤، النّاشر: مؤسّسة الحلبيّ وشركاه للنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الثّانية ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.